غرض الوصف في الشعر عند الطبري في تاريخه

(دراسة تحليلية)

م.م. عماد علي دايح الشمري

The purpose of poetry (in descriptions) as Al-Tabari shows it

Compiled by: Ass. instructor Emad Ali Dayih Al- shamari

Summary

١- poetry protects the tribe and gives it respect. The poet is a speaker of atribe. He defends it in difficulty. The best example is Hassan bin Thabit when he defends the prophet and Islam.

٢- Poetry has importance to historians. It shows the time of events and deeds. For example ghazwat Al-Khandaq Battle. The events can be forgotten through long time. It can be kept if it is recorded.

٣- From this abore we can see life to Arabs can be recorded by poetry. The holy quran helps that.

المقـــدمـــة

لقد شرعت في كتابة هذا البحث الموسوم بـــ(الشعر في تاريخ الطبـــري، دراســـة تاريخية وتحليلية)، فسلـــَّطتُ الضوء فيه على أهم الجوانب التاريخية لهذا الشـــعر الـــذي جاء زاخرا" به كتاب الطبري. وكانت دراستي هذه دراسة انتقائية لكثرة ورود الشعر فيـــه والذي لا يمكن حصره في هذا البحث. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الشعر جاء جله في غرض واحد من أغراض الشعر العربي المتعددة ألا وهو (الوصف)، والدراسة التاريخية للظواهر المختلفة أياً كانت تلك الظاهرة تزيل اللثام وتكشف النقاب عن حقائق مهمة فـــي معرفة الأصول الأولى لتلك الظواهر ولعل من أشهرها هو الشعر الذي نحن بحاجة إلـــى أن نؤرخ له ولاسيما في كتب المؤرخين أنفسهم وعلى رأسهم الطبري .

وعندما جمعت المادة وجدت بأنها كثيرة ولا يمكن بحثها والإتيان عليها جميعـــا" فـــي مثل هذا البحث لذلك رأيت أن ادرس الشعر وأؤرخ له في جزأين من تاريخ الطبري وهما الأول والثاني ، ولما لم تكن أغراض الشعر في هذا المجال متعددة وإنما اقتصرت علـــى غرض واحد (الوصف) ، لذا لم استطع تقسيم البحث حسب الأغراض الشعرية المعروفة فاتبعت تقسيم البحث وفق التسلسل التاريخي للشعر وجعلته في مبحثين :

المبحث الأول: الشعرفي تاريخ الطبري قبل الإسلام.

المبحث الثاني: الشعرفي تاريخ الطبري بعد الإسلام.

ولقد تتبعت الشعر في كتاب الطبري الموسوم بـــ(تاريخ الطبري، تـــاريخ الرسل والملوك)، تحصيل حاصل" عن مصادر أخرى وعن دواوين الشعراء ومـــا كتـــب من بحوث ودراسات كلما تمكنت من ذلك.

وبعد الانتهاء من كتابة هذا البحث نسال الله تعالى أن ينفعنا بهذا العمل وان يجـــزل لنا ثوابه في الدارين وان يوفقنا ويسدد خطانا نحو الخير والعمل الصالح ونسأله أن يغفـــر زلاتنا ونشكر الله الذي أعاننا على إتمام هذا العمل كما أود أن اشكر كل من مد لـــي يـــد العون وأعانني بمصدر أو رفدني بكتاب والحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول

الشعر في تاريخ الطبري قبل الإسلام

إنّ من ابرز صفات العربي الكريمة هو انه لا يضيق ذرعاً بضيفه مهما طال به المقام عنده، لكنه □ن أراد أن ينبـّ الضيف إلى أمرٍ قد تركه وراءه أو نسيه فهو ينبه غير مباشر وبطريقة لائقة بحيث لا يخدش مشاعر ضيفه.

فهذا معاوية بن بكر قد حل عليه جماعة من بقايا قوم (عاد) أصابهم القحط والجدب فجاؤوه متقوتين و□كرمهم إكراما أراح نفوسهم وخفف ضيقهم فا استطابوا المقام ونسوا قومهم ، حينها أمر معاوية قينتين بغناء شعر قرأه عليهم بهذا الخصوص لعل القوم ينتبهون فيعودوا إلى قومهم الذين ينتظرون عودتهم قال :

ألا يا قيلُ ويحك قم فهينم[1] لعلَّ اللهَ يسقينا غماما
فيسقي ارضَ عادٍ إنَّ عاداً قد أمسوا لا يبينونَ الكلاما
وقد كانت نساؤهُم بخير فقد أمست نساؤهُم عيامى[2]
منَ العطشِ الشديد فليسَ نرجو به الشيخ الكبير ولا الغُلاما
وان الوحش يأتيهم جهاراً ولا تخشى لعاديٍّ سهاما
وأنتم ها هنا فيما اشتهيتم نَهاركُمُ وليلكمٌ التمام

عندما سمع الوفد الشعر الذي غنته القينتان انتبهوا فرحلوا إلى قومهم، بدأ الشاعر : بالدعاء من اجل المطر ليسقي هذا المطر ارض عاد التي أمسى أهلها لا يستطيعون الكلام لشدة الجوع والعطش فلا يرجى بهم سلامةً ولا للشيخ ولا للغلام .

يستطرد الشاعر في وصف حالتهم بان النساء ترملن لموت أزواجهن بسبب هذا القحط لانّ الوحش صار يأتيهم علناً لا يهاب منهم أحدا بعد أن كان الوحش يخشى سهامهم ولا يقرب ديارهم.

إلى هذا الحد جلب الشاعر انتباه الوفد بتلك الصورة الفنية التي صورت حال قومهم ثم يصف الوفد بأنهم منغمسين في ما يشتهون ليلا ونهارا تاركين قومهم على الحالة التي وصفها[3].

---

١ - الهينم : الكلام الخفي الدعاء.

٢ - العياما : الأرامل .

٣ - ينظر المعجم الوسيط : إخراج : إبراهيم مصطفى ، واحمد حسن الزيات وآخرون ، مؤسسة دار الدعوة – القاهرة ١٩٧٢م – ٦٤٠- ٦٤١.

وقد ذكر الطبري أن هذا الوفد أصيب بالعمى ولم يستطع الوصول إلى قومه جزاءً لهم على عدم إيمانهم بالله وتكذيبهم لنبيهم[1].

وفي قصيدة أخرى للشاعر (*مرثد بن سعد بن غفير*) يذكر فيها عصيان قوم عاد لرسولهم، وكان قد أصابهم القحط والجدب ، ويتعرض الشاعر للعقوبة التي عاقبهم بها الله جل وعز جزاء عصيانهم الذي فعلوه بنبيهم فانشد يقول:

عَصَتْ عادٌ رسولهم فأمسوا ... عطاشا قد تبلّهمُ السماءُ

وسُيّر وفدهُم شهراً ليسقوا ... فأردمهم مع العطشِ العماءُ

بكفرهم بربهم جَهاراً ... على أثارِ عادهم العفاءُ

ألا نزع لإلهُ حلومَ عادٍ ... فانّ قلوبهم غفلٌ هواءُ

من الخبير المبيّن أن يعودُ ... وما تَعني النصيحة والشفاءُ

فنفسي وابنتاي وأم ولدْي ... لنفس نبينا هودٍ فِداءُ

أتانا والقلوب مصمّداتٌ ... على ظلمٍ وقد ذَهَبَ الضياءُ

لنا صنمٌ يقال له صمود ... يقابلهُ صداءُ والهباءُ

فأبهر والذين لهُ أنابوا ... وأدرك من يكذّبهُ الشقاءُ

فانّي سوف الحق آلَ هودٍ ... وإخوتَهُ إذا جنّ المساءُ

يستعرض الشاعر عصيان قوم عاد لرسولهم وما حل بهم من البلاء بسب ذلك حيث أمسوا بقحط وجدب ومسيرة وفدهم لشهر للتقوت فأزد فهم جميعاً عماءً إضافة إلى العطش.

ولو استعرضنا القصيدة لوجدنا الشاعر يستهلها بالإخبار عن قوم عاد وعصيانهم لرسولهم الذي أرسله الله سبحانه وتعالى.

يقابل ذلك العقوبة التي حلت بهم بسبب هذا العصيان، ثم يعود ليتعظ بذلك ويعظ تحذيراً مما حل بقوم عاد من سوء العذاب.

ليفدي مقابلةً بذلك نفسه وابنتيهِ وأم أولاده لنبيه هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. ثم يصف مجيء هود وقلوبهم مغلفة بالظلام يعبدون الأصنام التي لا تغنيهم عن

---

١ - الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ، ط٢، ٢٢٣/١.

الله شيئا فعلى هذا الأساس سيلحق بهود قريباً ليتخلص من عـذاب الله تعـالى بالإيمـان برسوله وبرسالاته[1].

وبعد أن انتهينا من قصيدة مرثد بن سعد السابقة ، نستقبل قصيدةً أخرى ذات معـانٍ ودلالات سامية كشفت عن أعظم بلاء شهده التاريخ في العصر القـديم ، واكبـر محنـة عرفتها البشرية، وأعظم درس في الصبر والتضحية والفداء والإيمان واليقـين ، ضـربها رجلان مؤمنان من رجالات التاريخ المخلـّدين إسماعيل وابنـه إبـراهيم عليهما السلام، واليـك القصيدة وتحليلها.

وقد استعرض الشاعر أميه بن أبي الصلت [2] قرار سيدنا إبراهيم بذبح ابنهِ إسماعيل (عليهما وعلى سيدنا محمد الصلاة والسلام) .

قائلاً:

ولإبـــراهيـم الموفـّـــي بالنـــذر ☐حتساباً وحامـــلُ الإجـــزال

بِكرةً لم يكـــن ليصبـــر عنـــه أو يـــراهُ فـــي معشـــرِ الاقتـــالِ

أي بُنيِ إنـــي نـــذرتـُـــك للهِ شحيطـاً فاصبـــر فـــدى لكَ حـالِ[3]

واشـدِدِ الصفـــدَ لا أحيـــد عـــن السكين جيـــدَ الأسيـــر ذي الأغـلال

ولـــه مـديـــةٌ تحـــايـل في اللحم هـــــذام حنيّتـــهُ كالهـــلالِ[4]

بينمـــا يخلـــعُ السـرابيـــلَ عنـه فَكَّـــ ُ رَبـــَّ ُ بكبشٍ جُـــــــلالِ

فَخُـذنَ ذا فـــأرسـل ابنـــك إنـــي للـــذي فعلتمـــا غيـــر قـــال

والـــدٌ يتقـــّي وآخـــرُ مـــولود فطـــار منـــه بسمـــع فعـــال

ربمـــّا تجـزع النفوسُ مـــن الأمـــرِ لـــهُ فُـــرجـــةً كحـــلِّ العقـالِ[5]

---

١ - ينظر: تاريخ الرسل والملوك، للطبري ، ٢٢٣/١ .

٢ - أمية بن عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقره بن عنزة حياته وشـعره، جمـع بشـيريموت ، بيروت. ٢٥١.

٣ - المصدر نفسه ، ٢٥١.

٤ - الاصبهاني ، لأبي فرج الاصبهاني ،الأغاني، دار صادر بيروت (د. ت) ، ١٨٧/٣.

٥ - أميه بن أبي الصلت ، حياته وشعره ،٣٦٠.

يصف الشاعر قرار سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل فداءً لبيت الله الحـــرام ، وصبر سيدنا إبراهيم عليه السلام على قراره الصعب بذبح ابنه البكر الذي لا يهون عليه أن يراه قتيلاً لولا إيمان الأب وصبره على ما أراد الله سبحانه وتعالى □متحانه به ، يقابـــل ذلـــك صبر الابن وتضحيته بنفسه فداءً لله تعالى ، وقد هـــّما بتنفيذ ذلك فربطه بالأصفاد وهيـــّأ السكين التي يصفها الشاعر بأنها حادة تنزل في اللحم محنية الشكل كالهلال، وبينما يخلـــع سيدنا إبراهيم ملابس ابنه ويضع السكين على رقبته والابن مطيع صابر لأمر الله تعـــالى ، حتى سمع مُنادٍ من السماء ينادي ويقول بانّ فدينا إسماعيل بكبش عظيم يذبح فداء للبيـــت في قوله تعالى ﴿ وفديناهُ بذبحٍ عظيم ﴾[1].

وبعد هذا التحليل ، ننتقل إلى قصيدة أخرى لشاعر أخر وهو (*الربيع بن ربيعـــة بـــن عون السعدي*) المعروف بالمخبل السعدي .

الذي يخاطب في قصيدته عمرو بن عدي ويصف كيف وصل الـــى الملكـــة الزبـــاء وقتلها في باب نفق كانت قد حفرته لتهرب منه وقت الضيق فانشد يقول:[2]

المخبل الربيع بن ربيعة بن عون السعدي . قال في مقتل عمرو بن عدي للزباء بثأر خاله جزيمة:

يـــا عمرو إنـــــي قـــد هـــويتُ جماعكم ... ولكـــلِ مـــن يهـــوى الجمـــاعَ فـــــراقُ

بـــل كم رأيت الـــدهـــرَ زايـــــلَ بينـــهُ ... مـــن لا يـــزيل بينـــــهُ الاخـــــــلاقُ

طـــابت بـــه الزّبـــاءُ قد جعلت لهـــــا ... دوراً ومشـــربةً لهـــــا انفـــــــــاقُ

حملت لـــه عمـــــراً ولا يخشونـــــــه ... مـــــن آلِ دومـــــة وسِلـَه معتـــــاقُ

حتـــى تفـــزَّعهـــا بأبيضَ صـــــــارمٍ ... عصُبٌ يلـــــوحُ كـــأنـّ ُ ممـــزاقُ

وأبـــو حـــذيفـــةً يـــوم ضـَاق بجمعـــه ... شِعبُ الغبيطِ فحـــوســـــة فـــأفـــاقُ

ولـــــه معـــدٌ والعبـــادُ وطـــــيٌّ ... ومـــــن الجنـــــود كتـــائبٌ ورفـــاقُ

يهبُ النجـــائب والنزائـــــع حولـــــهُ ... حـــــرداً كـــأنه مثونهـــا الإطـــلاقُ

فـــأتت عليـــه ســـاعـــــة ما أن لـــه ... ممـــــا أفـــاءَ ولا أفـــادَ عِتـــــــاقُ

فكـــأنّ ذلك يـــــومَ حـــمّ قضـــــاؤهُ ... رفـــداً أُميـــلَ □نـــاؤه

---

١ - سورة الصافات : آية ٢٧

٢ - شاعر فحل ذكره ابن سلام الجمحي في الطبقات ضمن الطبقة الخامسة وله شعر كثيـــر هجـــا بـــه الزبرقان وغيره ، ص (١- ١٤٩) . ينظر : الاغاني ، لابي فرج الاصبهاني ، ٤٠/١٢ .
وينظر: الفهرست ، لابن النديم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ط١٩٧٨ ، ٦٣.

مهـــــــراقُ

يخاطب الشاعر هاوياً قرية واصفاً تداول الأحوال وعثرات الزمان مشيداً بشـــجاعته وإقدامه، ثم يصف الزباء بقوتها ومنقبها حيث جعلت في قصرها إنفاقاً لا يصل إليها احـــد تستخدمه وقت الحاجة ، لكن عمرو بن عدي استطاع الوصول إليها بتدبير من احد أعوانه ودخوله قصرها والتعرف على كل ما بداخله بما فيه الأنفاق التي تستخدمها الزباء للهـــرب وقت الحاجة ثم وصول عمرو بن عدي إليها وقتلها في مدخل النفق الذي تستخدمه للهرب كذلك يستمر الشاعر بوصف جموع وجيوش عمرو بأنه قد ضاق به الشـــِّعب (شِـــعب الغبيط) كناية عن كثرته ، ويصف موالاة القبائل له بعددها إضافة إلى كرمه ، وتدريبـــه الجيش لساعة الثأر ، ويصف يوم هجوم عمرو بن عدي ودخول جيشهِ مدينة أو عاصـــمة الزباء كأنه يوم القيامة أو □ناءُ ماءٍ فأهرِقَ أو صُبِّ ما فيه .

ويذكر أن دخول جيش عمرو كان بحيلة تتلخص بان الإبل تدخل المدينة حاملةً تجارةً طلبتها الزباء بعد أن تعاملت مع احد أصحاب عمرو على انه تاجر وعند ذلك أي وصـــول الجمال التي تحمل الرجال على إنها بضاعة حدثت المعركة التي قتلت فيها الزبـــاء التـــي همت بالهرب من النفق المخصص لهذا الغرض ففاجأها عمرو بن عدي لدى الباب وقتلها.

القصيدة بمجملها وصف للثأر والمعركة وقوة العدو يقابله تمكن عمرو بن عدي مـــن الثأر لخالهِ[١].

وهناك حادثة تاريخية أخرى تصور قدوم الشاعر (*عبد العزى بـــن امـــرئ آلقـــيس الكلبي*) على الحارث بن معاوية الغساني وقد أهدى له خيلاً فقبلها الحارث وأكرمه وأقـــام الشاعر عنده ، وقد كان للحارث ابن مسترضع في بني حُميم وفي أثناء ذلك نهشته حيـــّة فمات فظن الحارث أنهم قتلوه عندها طلب من عبد العزى أن يأتيه بهم فأجابه عبد العـــزى بأنهم قوم أحرار ولا يستطيع □حظارهم أمامه فغضب الحارث وتوعد عندها دعـــا عبـــد العزى ولديه شرحبيل وعبد الحارث وكتب معهما إلى قومه قائلاً :[٢]

جـــــزاني جـــزاهُ الله شـــر جـــزائـــهِ جـــــزاء سنـــّمار* ما كان ذا ذنـــــــبِ
سوى رصفهِ البنيـــان عشريـــن حِجـــّةً يُعـــلُّ عليـــــه بالقراميـــــد والسكـــــبِ
فلما رأى البنيان تـــــمّ سموقـــــــــهُ وارض كمثلِ الطودِ ذي البـــاذخ الصعبِ

---

١ - ينظر: الأغاني ،لأبي فرج الاصبهاني ، ٤٠/١٢ . وينظر : الفهرست ،لابن النديم ، ٦٣.

٢ - ينظر المستقصي في أمثال العرب، للعلامة الأديب أبي القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـــ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ١٩٧٧م ، ٥٢/٢.

فاتهمه من بعد حرسٍ وحقبةٍ وقد هَرّه أهل المشارق والغربِ
وظنّ سنمارٌ به كلَّ خيرةٍ وفاز لديهِ بالمودّةِ والقُربِ
فقال قذفوا بالعلجِ من فوق فهذا لعمرُ اللهِ من أعجبِ الخطبِ
بُرجهِ
وما كان لي عند ابن جفنة فاعلٌ من الذنبِ ما آلى يميناً على كلبِ
ليلتمسَنْ بالخيل عِقرَ بلادهم تحلّلَ أبيت اللعنَ مَن قولِ مغربِ
ودون الذي منّى ابن جفنة نفسه رجالٌ يردّون الظلومَ عن الشّعبِ
وقد رامنا من قبلك المرد حارثٌ فود رسولاً لدى ألاكمُ الصهبِ

يصف الشاعر حاله مع الحارث بن معاوية الغساني كحال سنمار حيث إن عبد العزى صاحب فضل على الحارث وسنمار أيضا صاحب الفضل والجزاء لعبد العزى يقابل جزاء سنمار[١].

بعد أن وصف الشاعر حكاية سنمار عاد ليصف نفسه بأنه لأخطاء عنده مع الحارث لكن الحارث ناكرٌ للجميل يريد غزوا بني حُميم في عقر دارهم .

ويحذره الشاعر بأن يترك رأيه (المخزي) المزعج لان أمامه رجالاً قساة يردون الظلم عن شعابهم وعن منازلهم وقد حاول قبلك من حاول لا كنه عاد منهزماُ مكسوراً لم يظفر بمراده .

وقد استعمل الشاعر كلمة سنمار كنايةٌ عن مقابلة الإساءة بالإحسان فبدلاً من إن يشرح قصته مطولةً مع الحارث استعمل هذه اللفظة التي أغنته عن كثير من الكلام .

ومن الحوادث التاريخية التي أَرخّت شعرا هي حادثة غزو

(*تبع بن حسان بن اسعد الحميري*)[٢] ليثرب الذي عزم على تخريبها وقتل أهلها لولا إخباره من حبر من أحبار اليهود بان هذه المدينة محفوظة بأمر الله فلا تقرب منها ، وقد انشد تبع في أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول[٣] :-

---

١ - جزاء سنمار : مثل يضرب لمن يقابل الإحسان بالإساءة ، وسنمار هذا بناء حاذق بنى لأحد الملوك قصراً استمر في بنائه عشرين سنة بحيث تحفه وجمله إلى أن أصبح تحفة من تحف عصره لكن سنمار قال: استطيع أن ابني قصراً يدور مع الشمس فلما سمع الملك بهذا قال له انك ادخرت علّى جهدك وخبرتك فقذف به من فوق البرج فصارت حكايته مثلاً.

٢ - ابو كرب بن حسان بن اسعد الحميري ،قيل ان الشعر لتبان اسعد ابو كرب احد احفاد تبع ملك اليمن

٣ - ينظر: الاصبهاني ، الأغاني ،١٢٠/١٣ ،ينظر:الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،٢٢٣/١

ما بالُ نومك مثل نومِ الأرمـــــــــد ... أرقاً كأنك لا تــزال تـُسـّهـــــــدِ
حنقاً على سبطين حلاّ يثربـــــــــا ... أولى لهم واقف مِفســـــــــــــدِ
ولقد نزلتُ واقف المدينة منـــــــزلاً ... طاب المبيتُ بـــه وطاب المرقـــــدِ
وجَعلت عرصةَ منزل بربـــــــــاوةٍ ... بين العقيق إلى بَقيع الفرقـــــــــدِ
ولقد تـَركنا لأبها وقرارهـــــــــا ... وسباخها فـُرشـَتْ بقاعٍ أجـــــــردِ
ولقد هبطنا يثرباً وصدورنـــــــــا ... تـَغلي بلابلها بقتل محصـــــــــدِّ
ولقد حَلفتُ يميناً صبـــر مؤلهـــــا ... قسماً لعمرك ليس بالمتـــــــــردّدِ
إن جئتُ يثرب لا أغادر وسطهـــــا ... عِذقاً ولا بسراً بيثربَ يخلـُــــــد
حتى أتاني من قـَريظة عالـــــــمٌ ... صبر لعمرك فـــي اليهـــودِ مســـوَّدِ
قال زدجر عن قرية ... لنبيّ مكة من قريشٍ مُهتـــــــــدِ
محفوظـــــــــةٍ

فعفوت عنهم عفو غير مثـــــــــربٍ ... وتركتهم لعقابِ يومٍ سـَرمـــــــــدِ
وتركتهم لله أرجو عفـــــــــوهُ ... يـــوم الحساب مـــن الجحيم الموقـَّـدِ
ولقد تركتُ بها لهُ من قومنـــــــــا ... كفراً أولـــــي حَسبٍ وبأسٍ يُحمَـــدِ
نفراً يكونُ النصرُ في أعقابهـــــــم ... أرجو بذاك ثواب ربّ محـــّمـــــــدِ
ما كنت أحسب أن بيتـــاً طاهـــــرا ... للهِ في بطحاءِ مكـــّة يُعبـــــــــدِ
حتى أتاني من هزيلٍ اعبـــــــــدٌ ... بالدّفِّ مـــن حُمـــدانِ فوق المسنـــدِ
قالـــوا بمكة بيتُ مالٍ داثـــــــــرٍ ... وكنوزهُ من لؤلؤٍ وزبرجَـــــــــدِ
فأردتُ أمراً حال رَبيّ دونـــــــــهُ ... واللهُ يدفع عن خـــــرابِ المسجـــــدِ
فردَدت ما أمـــلَّتُ فيه وفيهـــــــم ... وتركتهم مثلاً لأهلِ المشهـــــــــدِ
قد كـــان ذو القرنين منهم مسلمـــــاً ... ملِكاً تدين له الملوكُ وتـَحشُـــــــدِ
ملكُ المغارب والمشـــارق يبتغـــي ... أسباب علمٍ مـــ حكيـم مُرشـــــــدِ
فرأى مغيبَ الشمس عنـــد غروبهـــا ... في عين ذي قلبٍ وثأطٍ حَرمَـــــدِ
من قـَبلهِ بلقيس كانت عمتـــــــي ... ملكتهمُ حتى مجيء الهُدهُـــــــــدِ

يصف الشاعر حاله حين أخبره حبر من أحبار اليهود عن أن هذه المدينـــة محفوظـــة بأمر الله تعالى لرسول يظهر في مكة اسمه محمد (صلى الله عليه وسلم) في حـــين انـــه

غزا يثرب مقررا أن يخربها خرابا تاما لا يبقي ولا يذر ، عند ذلك ترك تبع المدينة ثم بعدها إلى مكة بيت الله ويقال انه كسا الكعبة وعمرها[١].

ويستعرض الشاعر مسيرته إلى يثرب وقراره تخريبها ثم العدول عنه للأسباب التي ذكرناها بطريقه سلبيه مبسطه لا تكلف فيها مستذكرا ربه طالبا رحمته بعفوه عن ما كان قد قرره ٠

ويذكر الشاعر (*الاسكندر ذو القرنين*) الذي كان مسلما يعرف الله تعالى ويرجو رحمته وبلقيس كذلك وقصتها آلمعروفه مع نبي الله سليمان (عليه الصلاة والسلام) كل هؤلاء دروس وعبر يأخذ منها الشاعر دروسا في مسيرته وغزوه للمدن التي ذكرناها وهناك تنقلنا الأحداث إلى صفحات الغدر والخيانة وتظهر لنا اثر بطانة السوء من الملوك والأمراء الذين يغرونهم حتى في قتل إخوانهم فهذا الشاعر عمر ابن التبان حرض أصحابه على قتل أخيه والاستيلاء على الملك إلا رجلا واحدا لم يوافق على رأيه وبعد أن قتل عمر أخاه انتبه ضميره وطال ليلهُ فالتفت إلى الذين حرضوه على القتل فقتلهم جميعا إلا ذو الزعيم وهو الرجل الذي منعه من القتل إليه ولذلك انشد يقول[٢] .

شربنا النوم اذ عُصبت عـــــلابُ بشهيدٍ وعقدٍ غير معيـــــــــنِ
تنادوا عند غدرهمُ سبـــــــــاب وقد برزت معاذرُ ذي رعيـــــــــنِ
قتلنا من تولى المكر منهـــــــم بواءً بابن رُهم غير دَيـــــــــنِ
قتلناهم بحسانِ بن رهـــــــــمٍ وحسانُ قتيلُ الثائريـــــــــــنِ
قتلناهم فلا بقياً عليهـــــــــم وقرّت عند ذاكم كُلّ عيـــــــــنِ
عيونُ نوادب يبكين شجـــــــواً حرائر من نساءِ الفيلقيـــــــــنِ
أو أنيسَ بالعشاءِ وهن حـــــــورٌ إذا طلعت فروع الشعرييـــــــنِ
فـَنُعرفُ بالوفاءِ إذا انتمينـــــا ومن يغدر نُبائنه ببَيـــــــــنِ
فضلنا الناس كلـّهمُ جميعـــــــاً كفضلِ الأبرزيّ عَلى اللجيـــــــنِ
ملكنا الناسَ كلـّهمُ جميعـــــــاً لنا الأسبابُ بعد التـَّبعيـــــــنِ

---

١ - ينظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد عبد السلام الجمحي (ت٢٣١ هـ) ، قراه وشرحه محمود محمد شاكر ، دار مطبعة المدني – جده ١٩٥٢ ،١٦٣ ٠

٢ - ينظر:الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،٢٢٣/١ ٠ الشعر والشعراء ، محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدنيوري ، (ت٢٧٦هـ) ، تح/د٠اميحه والاستاذ محمد امين الظناوي ، دار الكويت العلميه،بيروت٢٠٠٥ ، ١٠٣ ٠

ملكنا بعد داودٍ زماناً ... وعيّدنا ملوكَ المشرقينِ
زبرنا في ظفارِ زبورَ مجدٍ ... ليقرأه قروم القريتينِ
فنحن الطالبونَ لكلِ وتـرٍ ... إذا قال المعَاولِ أينَ أينَ
سأشقى من ولاةِ المكر نفسي ... وكان المكرُ حينهمُ وحيني
أطعتهمُ وكم أُرشد وكانوا ... غواةٌ اهلكوا حسبي وذميني

يصف الشاعر حالته وما أصابه من السهر بعد قتله أَخاه وندمه على ذلك ، وقد تنادى بذلك من أشار عليه وحرضه على القتل يستثنى من ذلك ذو عين الذي لم يوافقه على ذلك ويذكر الشاعر قتله لدعة المكر مقابله بقتل حسان، ثم يصف حالته بأنه من أناس عرفوا بالوفاء ولا يمكن أن يغدر بهم احد لا دفع عن غدره ٠

ويذكر الشاعر فضل أهله كملوك على الناس وأجداده ألتـّبعـّيين ويفتخر بهم ، يعود إلى دعاة المكر الذين أشاروا عليه بقتل شقيقه حسان ويعد بأنه سيشفى نفسه منهم ، ويقول أطعتهم في مشورتهم فلمْ آت سبيل الرشد وهم الغواة الذين أساءوا إلى انتمائي الشريف ونسبي العظيم فكان جزاؤهم القتل ٠

وبعد ذلك تنقلنا الأحداث إلى صورة تاريخيه من صور الغزو وخراب الديار والقصور العامرة، إذ كان ذلك مما يفتخر به الملوك والقادة اللذين يحتلون بلاد غيرهم وهم الأقوى فهذا الشاعر

(ذو جدب *ألحميدي*) قال بعد غزو النجاشي إلى اليمن وتخريبها واحتلالها وإذلال حمير فيها بقيادة (ارياط) وخراب معالم اليمن التاريخية كقصر غمدان ، سلِحَين، بينون ٠

يقول[1]: -

وعيني لا أبالك لن تـُطيقي ... لحالي اللهُ قد أنزفت ريق
لدى عزفُ ألقبانِ اذا انتشينا ... واذ نسقي مِنَ الخمرِ الحريق
وشربُ الخمرِ ليس عليَّ عارٌ ... إذا لم يشكيني فيها رفيقي
فأنّ الموتَ لا ينهاهُ ناهٍ ... ولو شرب الشفاء مع النشوق
ولا متـرهبٍ في اسطوانٍ ... يناطحُ جُدرهُ بيضَ الأنوق
وغمدان الذي حدّثتْ عنهُ ... بنوهُ ممسكاً في رأسِ نيق
بمنهمةٍ وأسفله جردب ... وحرٌ الموصلِ اللتق الزليق

---

١ - ينظر :الطبري ،تاريخ الرست والملوك ،٢٣٠/١ ٠ ينظر : تاريخ الادب العربي العصر الاسلامي ، الدكتور شوقي ضيف ، القاهره ١٩٦٣ م ،٨٧ ٠

مصابيـــح السليط تلـــوحُ فيـــــهِ إذا يسمـــي كتـــوما فـــي البـــروق
ونخلتـــهُ التـــي غـــرِسَـت إليـــه يكـــادُ البســـرُ يهصـــرُ بالعـــذوق
فأصبـــح بعـــد جدّتـــهِ رمـــــاداً وغيـــر حُسنـــه لهـــبُ الحـــريـــق
واسلـــم ذو نـــواسٍ مستميتـــــاً وحـــرَّر قـــومـــهُ ضنكَ المضيـــق

وفي مقدمة آلقصيده يذكر اللؤم الذي ايبس ريقه ،ويتعزى بعزف القيـــان إذا شـــرب وانتشى وشرب الخمر ليس عار عليه إذا لم يؤد إلى شكور رفيقه منه ٠

ثم يذكر الموت الذي لا يستطيع أن يمنعه احد ولو كان ان يشرب الدواء الشافي مـــع ما يستنشق من الهواء فان الموت آت لا محال له ٠

وهنا استخدم لفظة الشفاء كناية عن الدواء ، كذلك لا ينجو من الموت من وضع نفسه في حصن منيع عالي الأسوار ثم يعود ليذكر غمدان ذلك البناء الشـــامخ رمـــز حضـــارة اليمن ودولتها يصف علوه وعظمته بحيث أن مصابيح تطـــاول البـــرق فـــي إشـــراقها ونخيله التي يكاد الثمر فيها يكسر العذوق وتلك كناية عن الإنتاج الوفير في اليمن السعيد٠

ثم يقول لقد أصبح غمدان بعد جدته رمادا وشوهت النار والحرائق حسنه وجماله ٠

ومن مواطن النزال الأخرى في المعارك ما سطره أبو السلط والد(*أميـــه بـــن أبـــي الصـــّلت*) الشاعر المشهور في قصيدته اللامية التي مدح بها (سيف بن ذي يزن) الـــذي هزم (هرقل) وجيوشه[١]، وكانت هذه آلقصيدة من أروع القصائد التي ســـطرت المفـــاخر التاريخية بسيرة ابن ذي يزن وقومه وسطوته ، حيث يقول[٢] :-

ليطلبُ الوتر أمثـــال بن ذي يـــــــزنٍ أرَيمَّ في البحر للأعداءِ أحـــــــــوالا
أتى هرقل وقد شـــالت نعامتهـــــــم فلم يجدْ عندهُ بعض الذي قـــــــــالا
ثم انتحى نحو كســـرى بعد سابعـــــةٍ منَ السنينِ لقـــد أبعدت ايفـــــــــالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهـــــــم انك لعمري قـــد اطولتَ قِلقـــــــــالا
من مثل كسرى شهفنـــاه الملوك لـــــه أو قِيلَ وهرز يوم الجيش إذ صـــــــالا
لله درّهم من عصبةٍ خـــرجـــــــوا ما إن ترى لهم في الناس أمثـــــــالا

---

١ - ينظر:الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ٢٢٣/١ ٠ ينظر : تاريخ أصفهان ،احمد بن عبـــد الله بـــن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني ، تح ، سيد كسوري حسن ، دار الكتب العلميـــة بيروت – لبنان ،/ط١، ١٩٩٠ م ، ٣١٨/٢ .

٢ - ينظر: الأخبار الطوال ، الدنيوري ،٣٢٥ ،وينظر:- العرب واليهود في التاريخ ، احمـــد سوســـه، ٢٦٩. وينظر : ديوان اميه بن ابي الصـــّلت ،جمع بشير يموت ،بيروت ١٩٣٤ م،٥٢ ٠

غرٌّ جحامحةٌ بيض مرازبـــــــــــةٌ أسدٌ تربـّت في القضبانِ أشبـــــــــالا
يرمون عن شدُفٍ كأنها غبـــــــــطٌ في زمخرٍ يعجل المرميّ
عجـــــــــالا

أرسلتَ أسداً على سود الكـــلاب فقـــد أضحى شريدهم فـــي الأرض حُـــــلالا
فاشرب هنيئـــاً عليك التـــاج مُتّكئـــــاً في راس غمدان دارا منك محـــــــلالا
واطل بالمسك اذا ســـالَت نعامتهـــــم واسبل اليوم في برديك إسبـــــــــالا
تلك المكارم لا قصبـــانَ من لبـــــــنٍ شيبا بماءٍ مغادا بَعـدُ ابـــــــــوالا

يمدح الشاعر ابن ذي يزن الذي قاتل دفاعا عن ملكة قوم هرقل قتالهم في البحر مـــدة طويله ويصف جيش هرقل بانه ليس كما كان يوصف بل انهم ولوا الادبار لدى منـــازلتهم مع بن ذي يزن ثم تحول الشاعر الى كسرى الذي غزا البلاد وقاتلهم مع بن ذي يزن بكل قوة بالرغم من الوصف الذي اسبقه شاعرنا عليهم من انهم قوة لايبارون قتالا، لكـــن ابـــن ذي يزن قاتلهم وانتصر عليهم كانما ارسل اسودا ليقاتل كلابـــا بحيـــث هربـــت الكـــلاب فاصبحت شرائدهم أي ماتبقى منهم فلولا في الارض ثم يهنئ الممدوح بالتـــاج وبتثبيـــت ملكه ويقول له هنيئا عليك التاج وجلوسك في فصر دارا حلالا لك ٠

ثم يقول له :- افتخر واسبل بردك تخايلا وكبرياءً لان المكارم ليست قعبان من لـــبن مزجت بماء مضار طعمها مجموحا غير مستساغ ٠بل المكارم اكبر من ذلك يعرفها اهـــل المكارم٠

والحقيقة أن المعركة كما ذكرها الطبري كانت بمساعدة جيش كسرى لطرد الاحباش وقيل ان القصيدة لابنه أميه ابن الصـــّلت[١]

ومن الصور التاريخية الأخرى للنجدة ونصرة المظلوم ما ذكر الشاعر (*أبي بن زيد*) جوابا على رسالة اخيه (عدي) الذي كان مسجونا في سجون كسرى حيث قال[٢]:-

إن يكن خانك الزمـــان فلا عاجـــــــز بـــــاغ ولا ألـــفٌ ضعيـــــــــفُ
وعِينُ الإله لـــــو أنّ جـــــــــاءوا طحوناً تضيء فيهـــا السيـــــــــوفُ
ذات رزٍّ مجتابةٍ عُمـــــرت المـــــوت صحيـــــح ســـر بالها مكفـــــــــوفُ
كنتُ في حميهـــا لجئتك أسعـــــــــى فـــاعلَمَنْ لـــــو سَمِعتَ إذ تستضيـــــفُ

---

١ - ينظر: طبقات فحول الشعراء ، للجمحي ، ٢٦٠/١.

٢ - ينظر : الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ، ٢٤٥/١ ٠ ينظر : الاغاني ، لابي فرج الاصـــبهاني ، ٢٦/٢ – ٢٧ ٠

أو جمال سُئلتَ دونك لم يمنـــــــــع ... تـــلادٌ لحاجةٍ أو طريـــــــــــفُ
أو بأرضٍ استطيع أتيـك فيـــــــها ... لـــم يهلني بعيدها أو مخـــــــوفُ
في الأعـــادي وأنت منـــي بعيـــــد ... عزّ هـــذا الزمانُ والتعريـــــــفُ
إن ثقتـــي والله القـا فجوعـــــــا ... لا يُعقـِّبك مـــا يصـوبُ الخريـــفُ
فلعمـــري كئن جزعتُ عليـــــــه ... لجزوع على الصـديـــق أســـــوفُ
ولعمـــري لئن ملَلْتَ عزائـــــــي ... تعليـــلُ شرواك فيمـــا أطـــــوفُ

يخاطب الشاعر شقيقه بانه ليس بعاجز ولا يعاجز عنه ولاثقيل بطـيء متـوان عـن نصرته ولو ان معركة بكتائب مجرد السيوف لجئتك مقتحما الصفوف ذاباً عنك بسـلاحي وبمالي وبدمي ولكنك في يد الاعادي وانت مني بعيد المنال واني لاجزع عليك اسفا ومثلك من الرجال ليجزع عليه ويفتقد ٠

ومن الأخلاق العربية الأصيلة الأخرى انتداب الأخوال أذا جارت الأعمام وسـلبت الحقوق والاموال من احد ابنائها وهذه الصوره يصورها (*عبد المطلب بـن هشـام*) ، يوم كتب الى اخواله يشكو لهم ظلم اعمامه واستيلائهم علـى بعـض ممتلكاتـه فانشـد يقول[1]: -

يا طول ليلي لإحـزاني وإشغالـــــي ... هل مـــن رسـولٍ إلى النجـّار أخوالي
يُنبي عديـّاً ودیناراً ومازنهـــــــا ... ومالكاً عصمةَ الجيـران عن حالـــــي
قد كنُت فيكم ولا أخشـى ظـــلامة ذي ... ظلم عزيزاً منيعاً نـاعِمُ البـــــــالِ
حتى ارتحلتُ إلى قومـــي وأزعجنـــي ... من ذاك مطـّلب عمـّي بتـرحـــال
وكنت ماكان حيـّاً ناعِماً جـــــذلاً ... امشي القرضنة سحاباً لا ذيـالـــــي
فغاب مطـّلب في مغـر مظلمـــــةٍ ... وقام نوفل كي يعدد علـى مالـــــي
أأن أرى رجلا غابـت عمومتـــــهُ ... وغاب أخواله عنـه بـــــلا والِ
أُمحي عليه ولم يُحفظ لـهُ رحمـــــاً ... ما امنع المرء يبـنَ العمِّ والخـــالِ
فاستنفروا وارفعوا أخيكـــم ابن أختكم ... لاتخذ لوه ومـــا انتـم بخـّـــذالِ
ما مثلكم في بني قحطـان قاطبـــــةً ... حيٌّ لجارٍ وأنعـــامٍ وأفضـــــالِ
أنتم ليانٌ لمن لانـت عريكتـــــهُ ... سِلمٌ لكـم وسـام الأبلج الغالـــــي

---

١ - ينظر: تاريخ الادب العربي ، العصر الجـاهلي ، د. شـوقي ضـيف ، ط١ ، القـاهرة ١٩٦٠ ، ٤٣ .ينظر:الطبري،تاريخ السل والملوك،٢٢٣/١ ٠

يصف الشاعر طول ليله وانشغاله بسبب ظلم اعمامه له واستيلائهم على ماله ، ويشكو لاخواله ذلك الظلم وكيف انه كان عند اخواله لايخشى ظلم احد ، ثم رحيله الى اعمامه ووفاة عمه الذي كان ناصراً له واستيلاء نوفل على ماله ، فيخاطب اخواله كي يرفعوا الحيف والظلم عنه ويقول ان الرجل اذا غابت عمومته وغاب اخواله ليبقى حيرانا بلا وال يركن اليه ٠

ثم يستنفر اخواله للدفاع عن حقه واعادته اليه٠ ويمدحهم بانهم افضل بني قحطان، اصحاب جيره ونعم وافضال، وهم ليّنوا الجانب لمن يسايرهم اقوياء لمن لايجاريهم وعيد عن الحق٠

القصيده وصف مفعم بالشكوى والاستنفار للذود عن الحق الضائع عند مغتصبيه ومدح ووصف لمآثر بني النجار اخوال الشاعر كي يعاونوه في الدفاع عن حقه٠

المبحث الثاني

الشعر في تاريخ الطبري بعد الإسلام

تكلمنا في المبحث الاول عن الاحداث التاريخيه التي عرضها الشعراء قبل الاسلام، وهنا سوف نتكلم في هذا المبحث عن شعر مابعد الاسلام ، ولعل من الاحسن وفق التسلسل التاريخي ان نعرض للشعر الذي عرض للبعثة النبوية الشريفة، فهذا الشاعر ابو قيس صرمه بن ابي انس يصف مبعث النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول[1] :-

نوى في قريش بضعَ عشرة حجّةً ... يُذكرُّ لو يلقى صديقاً مواتيا

ويعرضُ في أهل المواسم نفسه ... فلم يزمن يؤدي ولم يرَ داعيا

ولما أتانا اظهر اللهُ دينه ... فأصبح مسروراً بطيبه راضيا

وألقى صديقاً واطمأنّت به النوى ... وكان لهُ عوناً من اللهِ باديا

يَقصُّ لنا ما قالَ نوحُ لقومهِ ... وما قالَ موسى إذ أجاب المناديا

وأصبح لا يخشى من الناس واحداً ... قريباً ولا يخشى من الناس نائيا

بذلنا له الأموال من جُلِّ مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتأسيا

---

١ - ينظر : معجم ما استعجم من اسماء البلادوالمواضع ، تاليف الوزير الفقيه ابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي (توفي ٤٨٧ هـ) ، تح / الدكتور جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨، ٢١٣/١- ٢١٤.

ونعلم أن الله لاشيء غيـــــــــــره ونعلمُ أنّ الله أفضــلُ هاديـــــــــــا

يصف الشاعر وجود النبي في مكة حتى هجرته إلى المدينة المنورة ونصــرة أهــل المدينة له وإظهار الله لدينه دين الاسلام في تلك المدينة واطمئنان الرســول (صــلى الله عليه وسلم لانتشار الدين الحديث في يثرب وتآلف الانصار والتفاهم حوله بعدها يصــف حكم القرآن الكريم وقصص الانبياء التي يذكرها القرآن الكريم ويفصلها سيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم)٠

ويصف موقف الأنصار ببذل الاموال والانفس دفاعاً عن الدين وعن الرسول (صــلى الله عليه وسلم) حيث هم يعلمون ان الله تعالى لاشيء غيره وان الهدى هدى الله ســبحانه وتعالى والقصيده وجه من اوجه الفخر بنصرة الدين ومؤازرة الرسول (صــلى الله عليــه وسلم) اضافه الى الفخر بالايمان بالله والثناء عليه٠

إما (*أبو سفيان بن* حرب)، فهو يفخر بشجاعته في يوم(احد) ومعاونة شداد بن الاعور له على حفظه ٠

وقد جاءت قصيدته على وقف الوحدة الموضوعية للقصيدة، التي يبدأ بهــا الشــاعر يمدح نفسه ووصف فرسه التي وصفها بانها (كميت طمره) ثم انتقل الى الغرض الاساس في القصيدة وهو الفخر بنفسه ورجاله، فاسمع إليه وهو يقول[1] :-

لـــو شئتُ يحييني كميتٌ طِمـــــــرَّةٌ ولــم احمــل النعمــاء لابــنِ شعــــوبِ
فمازال مهري مزجرَ الكلبِ منهـــــــم لــدى غــدوةٍ حتــى دَنــت لـــغروبِ
أقاتلهـــم وادّعــي بـــالَ غالـــــبِ وادفعهـــم عنــّي بركـــنِ صلـــيبِ
فبكيَّ ولا ترعـــي مقالـــةُ عـــاذلٍ ولا تســـأمــي مـــن عَبرةٍ ونـــحيبِ
أبـــاكِ وإخـــوانٌ لـــه قد تتــابعوا وحقٌّ لهــم مـــن عِبـــرةٍ بـــنصيبِ
وَسلـــي الذي قد كان في النفس إنــّني قتلتُ مِـــن النجــّارِ كـــل نـــجيبِ
ومـــن هاشم قرمـــاً نجيباً ومــصعباً وكان لدى الهيجـــاء غيـــر هـــيوبِ
ولـــو إنّنـــي لم اشفِ منهــم مَرونــتي لكانت شجــرً فـــي القلبِ ذاتَ ندوبِ
فــآبـــوا وقــد أودى الحدئبُ مـــنهم لهم حُـــدبٌ فـــي مُعبطٍ وكئيـــبِ
أصابهــم مـــن لـــم يكن لدمائـــهم كفيـــاً ولا فـــي خطــةٍ بضريـــبِ

---

١ - ينظر:معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للبكري الاندلســي ،٢١٣/١-٢١٤ ٠ينظــر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك،٢٢٣/١ .

يصف الشاعر نفسه بانه لو اراد الهرب لانجته فرسه السريعه الوثوب ولـــم يحمـــل الجميل لشدّاد بن الاعور حيث لايزال قريبا منهم يقاتلهم بثارات من قتل من المشركين في (بدر)* ويذكر قتل المشركين وطول حزنه عليهم حيث يخاطب زوجته بان اباها واعمامها قد قتلهم المسلمون فحق لهم النحيب عليهم وذكرهم٠

ثم يعود ليفتخر بقتل المشركين لحمزه(رضي الله عنه) الرجل الفارس الذي لايشـــق له غيار وكذلك مصعب احد صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)٠

ويقول عاد المسلمون وقد خسروا أنصارهم وأقرباءهم ٠ وقد اصابهم أي قـــد مـــنهم من الرجال الاكفاء قتلهم من لم يكن لهم بكفء ويعني بذلك قتل وحشي لحمزه (رضي الله عنه)٠

القصيده فخر بنفسه ولم يذكر فضل شداد عليه حيث يقول كان باســـتطاعتي الهـــرب من غير ان احمل جميلا لشداد ، يفتخر بقتاله للمسلمين وقتل رجال من اشرافهم وكبـــارهم ثأراً للذين قتلوا من المشركين ببدر٠ ثم يذكر شفاء غليله بقتل ولو ان ذلك لبقيـــت حســـرة في القلب٠

وهذا (*حسان بن ثابت الانصاري*)[١] شاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الـــذي كان السلاح الذائد واللسان السليط على اعداء الاسلام واعداء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ٠ مايقول له :

(اهجهم ياحسان وروح القدس معك)[٢] حتى ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قـــال له يوما:

(كيف تهجو قومي وانا منهم)[٣]

---

١ - حسان بن ثابت اشعر شعراء القراءة العربية وهو كثير الشعر جيده ، وهو من الخزرج ، من بنـــي النجار ، وهو من المعمرين اذ يقال انه عاش في الجاهلية ستون عاما" وفي الاسلام ستون اخـــري. وينظر: الشعر والشعراء، ١٧٤.

٢ - البخاري ،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَردزبه البخـــاري الجعفـــي، (ت ٢٥٦هـــ)، صحيح البخاري ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت –لبنان ، (د-ت) ، كتـــاب الأدب ،باب هجاء المشركين رقم الحديث (٦١٥٣) ٠ مسلم ،الأمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،(ت٢٦١هـــ)، صحيح مسلم ، وهو ثاني كتابين هم أصح الكتب المصنفة حسب المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ، الطبعة الاولى ١٤٢١هـــ -٢٠٠١ م، طبعة كاملة لونـــان ، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان، (د٠ت) ،١٥٣-٢٤٨٦)، ص٩٦٩ ٠

٣ - مسلم ،صحيح مسلم ،١٥٦- (٢٤٨٩) ، ص ٩٦٩ ٠

قال : (اسلك يارسول الله منهم كما اسل الشعرة من العجين)[1]، فكان كثيرا ما يصب جام غضبه على الكفر واهله وعلى المشركين، فكان نصير الدعوة الاسلاميه وشاعرها بحق اذ يعد شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم)٠

واليك قصيده حسان بن ثابت يهجو بها هندا ويقول[2] :

أشرتْ لكاعٍ وكانَ عادتها ... لؤماً إذا أشِرتْ مع الكفرِ
لعنَ الإله وزوجها معها ... هِندُ* الهنود عظيمة البظرِ
أخرجت مرقصة إلى احدٍ ... في القوم معتبةً على بكرِ
بكرٍ ثفاءٍ لا حراكَ به ... لاعن معاتبةٍ ولا زجرِ
وَعصاك أستك تتقين بها ... وَفّي العجابه هِندُ بالفهرِ
قرحت عجيزتها ومشرجها ... من دأبها نص على القترِ
ظلت تداويها زميلتها ... بالماء تنضحهُ وبالسدرِ
أخرجتِ ثائرةً مبادِرةً ... بأبيك وابنك يوم بَدرَ
وبعمك المسفوه في رَدَعٍ ... وأخيك منفعرين في الجفرِ
ونسيتِ فاحشةً أتيتِ بها ... ياهندُ ويحكِ سُبَّةَ الدهرِ
فرجعتِ صاغرةً بلا ترهٍ ... منّا ظفرتِ ولا نصرِ
زعَمَ الولائدِ أنها ولدت ... ولداً صغيرا كان من عُهرِ

قصيدة حسان بن ثابت قصيدة هجائية غير اعتيادية لأنها لم تكن هجاءاً شخصيا بل هي دفاعٌ عن الدعوة الإسلامية ضد الكفر ، فهو يهجو هندا التي اشتركت في معركة احد التي استشهد فيها حمزه (رضي الله عنه) عم النبي (صلى الله عليه وسلم) ، يصف حسان هندا باللؤم والكفر ويصب عليها اللعنه التي يترجاها من الاله سبحانه وتعالى ، ويقول لها خرجت قريحه الى احد مع القوم لتري المعركه تحركين عجيزتك على الناقه لحملها على السير ، يقال عصاة استه أي ليست معه عصا فهو يحرك اسنه على المطيه حتى تسير ٠

---

١ - مسلم ،صحيح مسلم ،١٥٦ –(٢٤٨٩) ،ص ٩٦٩ ٠

٢ - ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٥/١. ينظر: ديوان حسان بن ثابت ، تح /د. السيد حنفي حسنين ، مراجعة : حسن كامل الصيرفي ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة – مصر ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ، ٧٥. وينظر:الجمحي، طبقات فحول الشعراء ،٢١٥/١ ٠

ويصف تقرح عجيزتها ومشرجه من كثرة الركـــوب الـــى الجـــانبين بحيـــث ظلـــت صاحبتها تداويها لتشفى ٠

ويذكر بابيها وابنها المقتولين في بدر حيث خرجت طلبا لثأرها كذلك عمها واخوهـــا

لكنها لم تظفر بشيء مما اتت من اجله فعادت خائبه ينعتها حسان بالعهر[١] .

وبعد ذلك وصلت الى شاعر اسلامي اخر سنختتم بـه وشـعره بحثنـا هـذا وهـو الشاعر(*كعب بن مالك*) الشاعر المجيد كما وصفه ابن سلام الجمحي في طبقاتـه[٢] حيـث يقول يوم احد في كلمته:-

فجئنـــا الـــى مـــوج من البحر وسطه احـــابيش، منهـــم حاصـــر وممنع
ثلاثـــة الآف، ونحـــن نصيـــةٌ[٣] ثـــلاث مئيـــن، ان كثـــرنا، واربـــع نصيـــــةٌ[٣]

والمراد:- احابيش قريش ؟ وذلك ان بني المصطلق وبني الهون بن خزيمه اجتمعـوا في الجاهليه عند جبل باسفل مكه يقال له:- (حبش) بضم فسكون. فخالفوا قريشا وتجالفوا بالله انا ليد على غيرنا ، ماسجى ليل ووضح نهار ، وما رسى حبشـي مكـان ، فسـمو احابيش قرش باسم الجبل[٤].

وقال كعب في معركة الخندق:-

مـــن حســـره ضـــرب يـــرعبل بعضـــه بعضـــا كمعمـــة الابادي المحرق
فليـــآتـــي واســدة تســل سيوفهـــا بين المـــذاذ وبيـــن جـــزع الخنـــدق[٥] الخنـــدق[٥]

ونختتم كلامنا بقصيدة لكعب يحرض فيها على عامر بن الطفيل[٦] ويصفه بانه عامل عامل السوء والضلاله كما يصفه بان العار فيهم قديم والغدر شـيمته وجسـد ذلـك فـي قصيدته التي يقول فيها[١] :-

---

١ - ينظر:الطبري ،تاريخ الرسل والملوك،٢٢٣/١ . ينظر : طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سـلام الجمحي ، ٢١٥/١.

٢ - ينظر : طبقات فحول الشعراء ، للجمحي٢٢٠/١.

٣ - النصية : الخيار الاشراف ، ومنه انتصر الشيء : اختاره ، كانه اختار نواصيه واكرم ما فيه.

٤ - ديوان كعب بن مالك ، ٢٤٤-٢٤٧ . وينظر : طبقـات فحـول الشـعراء ، للجمحـي ، ٢٢١/١. وينظر: نظرات في شعر صدر الاسلام ، ٥٠ وما بعدها.

٥ - ينظر : المحبر ، محمد بن حبيب ، رواية السكري ، تح / د. ايلزه ليختن شنيتر ، المكتب التجاري، التجاري، بيروت ، (د.ت) ، ٢٤٦ – ٢٦٧.

٦ - هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، شاعر مجيد له اشهر مناضرة مع علقمـة بـن علاثة. ينظر : الاغاني ، لابي فرج الاصفهاني ، ٥٠/١٥. وينظر : طبقـات فحـول الشـعراء، للجميحي ، ٤٠٤/٢.

لقـــــد طـــارت شعاعاً كلَّ وجـــهٍ خِفـــارةَ مـــا أجـــارَ ابو بـــــراءِ
فَمثـــلُ مُستهـب وبنـــي أبيـــــهِ بجنب الـــرَّد مـــن كنفـي ســـواءِ
بنـــي أم البنيـــنَ أمـــا سمعتـــم دعـــاءَ المستغيث مـع المســـــاءِ
وتنويـــه الصريـــح بلـــى ولكـــن عرفتـــم أنّ صـــدقَ اللقـــــــاءِ
فمـا صغـرت عيـابُ بنـي كـــلاب ولا القرطـــاء مـــن دَمّ الوفـــــاءِ
أعامـــرُ عامـــر السـوءاتِ قِدمـــاً فـــلا بالعقـــلِ فُـزتَ ولا السنـــاءِ
اخفـرتَ النبـيَ وكنـت قـدمـــــاً إلـــى الســـوءات تجـري بالعـــراءِ
فلسـتَ لجـارِ جـارَ أبـــــي دُرادٍ ولا الاسـديُّ جـار أبـــي العـــلاءِ
ولكـن عـاركـم داءٌ قـــديـــــم رداء الغـــدر فـاعلـــم شـــرٌّ داءِ

---

١ - ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك،٢٢٣/١ ٠ ينظر، سامي مكي العاني، نظرات في شعر صدر الاسلام ، ٥٣ ٠

الخاتمة

لقد قيل قديما (الشعر ديوان العرب) نعم ان الشعر هو الذي يحفظ للقبيلة هيبتها ويرد فيها اعتبارها لذلك كانت العرب لاتفرح إلابثلاثة اشياء :- الاول ان يلد لها ولد والثاني:- ان ينبغ فيها شاعر والثالث :- ان تنتج لهم فرس ٠

والشاعر لسان القبيلة الذائد عنها في الملمات والمحن وعرفنا عند وقوفنا على حسان بن ثابت وكيف كان يدافع عن الاسلام وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) ٠

(والشعر في لسان العرب غريب النزعه عزيز المنحه)[1] ٠

وبعد هذه الجوله المباركه بين ثنايا البحث تكونت في فكري صورة واضحة عن أهمية الشعر عند المؤرخين الذي اتخذوا منه سبيلا لتاريخ الاحداث والوقائع كما راينا في غزوة الخندق وغيرها من الغزوات حيث ان الشاعر ينفتق لسانه عندما يحمى وطيس المعارك ويشتد عزمها ، وللشعر مكانه عاليه لاتخفى عند المؤرخين ليحفظوا به الاحداث ، لان الاحداث ودقائق الامور في المعارك سرعان ما تنسى اذا دار عليها الزمن ، ولكن اذا ارخت بتاريخ فان هذا يحفظها من الضياع وليس هنا احسن من الشعر لحفظ الوقائع والاحداث التاريخيه ولما كانت الخاتمه دائما هي بمثابة تلخيص او خلاصة لما توصل اليه الباحث من آراء ونتائج ومستدات اكتشفها او القى عليها الضوء فقد تبين لي ان الحياة عند العرب منذ قدم البشريه تؤرخ شعرا ٠

فهذا الطبري يكتب التاريخ للبشريه جميعا نجد فيها مآثر الشعر العربي وكأنها تسجيل صوري للاحداث ، فلا نجد حادثه الا وللشعر فيها يد خضراء حيث يصفها ويذهب هذا الوصف بمثابه كتابه للتاريخ٠

اذن فالشعر العربي له الفضل في كتابة التاريخ والحفاظ عليه كشاهد من شواهده التي لاغنى عنها ٠

وقد عضد القران الكريم قسما كبيرا منها وهذه دلاله على صدق الشعر في تصويره للاحداث والاخبار عنها ٠

امل ان اكون قد وفقت بعض الشيء في القاء ضوء على هذا الشعر الخالد في تاريخنا العربي الاسلامي المجيد والله الموفق ٠

---

١ - ينظر : المقدمة ، ابن خلدون ، ١١١.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١- ابراهيم مصطفى.واحمد حسن الزيات واخرون : المعجم الوسيط ، مؤسسة دار الدعوة القاهرة.١٩٧٢م.

٢- احمد سوسه (الدكتور) : العرب واليهود في التاريخ ، وزارة الاعلام / دار الحرية للطباعة ١٩٧٢م.

٣- الاصبهاني : احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران المهراني، تاريخ الاصبهاني ، تح ، سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٩٩٠م.

٤- الاصفهاني ، ابو الفرج : الاغاني ، دار صادر بيروت . (د.ت) .

٥- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمدبن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ) مقدمة ابن خلدون ، دار العودة ، بيروت ١٩٨١م.

٦- ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) : الفهرست ، دارالمعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ط١٩٧٨ م.

٧- البخاري ،أبو عبد لله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَردِزبه البخاري الجعفي ، (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، (د – ت)،كتاب الأدب ،باب هجاء المشركين ، رقم الحديث (٦١٥٣) ٠

٨- البكري ، الوزير الفقيه ابي عُميد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧ هـ): معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع / تح جمال طلبه دار الكتب العلمية بيروت ط ١٩٩٨/١ م.

٩- الجمحي ، محمد بن سلام (ت ٢٣١ هـ) : طبقات فحول الشعراء : قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، جده ، ١٩٥٢م.

١٠- ألحديثي ، بهجت عبد الغفور : امية بن ابي الصلت ، حياته وشعره ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٩١م.

١١- ديوان أمية بن أبي الصلت ، جمع بشير يموت ، بيروت ١٩٣٤م .

١٢- ديوان حسان بن ثابت ، تح سيد حنفي حسنين (دكتوراه) ، مراجعة : حسن كامل الصيرفي ،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة – مصر ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

١٣- ديوان كعب بن مالك الانصاري ، جمع سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٦م .
١٤- الدنيوري . احمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) : الاخبارالطوال تح : عبد المنعم عامر، والدكتور جمال الدين شيال ، ط١ ، القاهرة ١٩٦٠ م.
١٥- الدنيوري ، عبد الله بنمسلم بن قتيبة (ت٢٧٦ هـ): الشعروالشعراء تح : د. مفيد قميمة ، محمد امين الضناري.
١٦- الزمخشري ، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : المستقصي في امثال العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٧م.
١٧- السامرائي ، ابراهيم السامرائي : العربية تواجه العصر ، الموسوعة العقيدة ، منشورات دارالجاحظ – بغداد ١٩٨٢
١٨- شوقي ضيف (الدكتور)، تاريخ الادب العربي، العصر الاسلامي القاهرة ١٩٦٣ م.
١٩- شوقي ضيف (الدكتور) ، تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي القاهرة ١٩٦٠ م.
٢٠- شوقي ضيف (الدكتور) ، تاريخ العصر العباسي الاول ، مطبوع بالقاهرة١٩٦٦ م.
٢١- شوقي ضيف (الدكتور)، تاريخ العصر العباسي الثاني ، مطبوع بالقاهرة١٩٧٣ م.
٢٢- الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، تح / محمد ابوالفضل ابراهيم ، دار المعارف ، بمصر ط٢.
٢٣- العاني ، سامي مكي (الدكتور) نظرات في شعر صدر الاسلام ، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية ١٩٩٢م.
٢٤- مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (٢٦١هـ)، صحيح مسلم، وهو ثاني كتابين هما أصح الكتب المصنفة حسب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، طبعة كاملة لونان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د – ت)٠
٢٥- نوري حمودي (الدكتور) وعادل جاسم الحياني ، واخر مطبعة التعليم العالي بالموصل.١٩٨٩ م.